المبحث الثاني
ما ذكره من التأويلات في الصفات الفعلية

* نزول الله تعالى :

قال ابن الأثير عند حديث : «إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا»، النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام ، والله يتعالى عن ذلك ويتقدّس ، والمراد به نزول : الرحمة والألطاف الإلهية ، وقربها من العباد. وتخصيصها بالليل والثلث الأخير منه ، لأنه وقت التهجد ، وغفلة الناس عمّن يتعرض لنفحات رحمة الله ، وعند ذلك تكون النية خالصة ، والرغبة إلى الله وافرة ، وذلك مظنّة القبول والإجابة » أ.هـ[1].

صفة النزول من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى بالسنة الصحيحة المتواترة :

ومن ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له»[2].

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٥/ ٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب: قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾

٥/ ٢٣٣٨ رقم (٧٤٩٤) وهذا لفظه ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/ ٥٢١ رقم (٧٥٨) والحديث سبق طرف من تخريجه في صفة اليد لله تعالى ، وهو مخرج في عامة كتب السنة فلا نطيل بسرد مواضعه هنا ، واعلم أن هذا الحديث من المتواتر ذكر ذلك جملة من أهل العلم منهم أبو زرعة كما في عمدة القاري ٧/ ١٩٩ ، والذهبي في العلو ص١٠٠ ، وابن عبدالهادي في الصارم المنكي ص٢٢٩ ، وشيخ الإسلام ابن تيمية شرح حديث النزول ص٣٢٣ ، وقال ابن القيم : « إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ رواه عنه نحو ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة » . مختصر الصواعق ص٣٨٠ ، وابن عبدالبر في التمهيد ٧/ ١٢٨ .

ومن تمام التخريج في هذا الحديث أن ينبه فيه على أمور أهمها :

١- قد اختلفت الروايات وقت النزول فبعضها مطلقة ، وبعضها حدد الثلث الأول ، وبعضها الثلث الأخير ، وقد اتفق أهل العلم على أن رواية ثلث الليل الآخر هي أصحها ، وذلك لأنها في المتفق عليه وفي غيرهما.

أما رواية النصف ، وبقاء الثلثين ، فهما من أفراد مسلم في بعض طرقه قال الإمام الترمذي في سننه ٢/ ٣٠٩ : « إن أصح الروايات عن أبي هريرة : إذا بقي ثلث الليل الآخر » ، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الجمع بين هذه الروايات فقال : «وإذا كان النبي ﷺ ذكر النزول إذا بقي ثلث الليل الآخر ، وإذا مضى ثلث الليل الأول ، وإذا انتصف الليل فقوله حق ، وهو الصادق المصدوق ، ويكون النزول أنواعا ثلاثة : الأول : إذا مضى ثلث الليل الأول ، ثم إذا انتصف وهو أبلغ ، ثم إذا بقي ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة » . بتصرف انظر : شرح حديث النزول ص٣٢٣.

قال الإمام أبو سعيد الدارمي بعد ذكره لجملة من الأحاديث في النزول : «فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى... وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر في مشايخنا لا ينكرها منهم أحد »[1].

وقال الإمام ابن خزيمة في مطلع باب عقده لحديث النزول : « باب ذكر

٢- ورد في بعض روايات الحديث لفظ : إن الله يأمر منادياً يقول : هل من داع فيستجاب له وهذا اللفظ رواه النسائي في عمل اليوم والليلة ص١٥٣ رقم (٤٨٦) وهو في الكبرى ٦/ ١٢٤ رقم (١٠٣١٦) ، وهذا لفظ ضعيف خالف فيه روايه ما أجمع عليه الثقات ، وهو بذلك لفظ منكر ، نبه على ذلك الألباني في الإرواء ٢/ ١٩٨ عند ذكره لطرق حديث النزول.

وقال شيخ الإسلام في حديث النزول ص ١٤٣ بعد ذكره ذلك اللفظ : « فإن هذا إن كان ثابتاً عن النبي ﷺ فإن الرب يقول ذلك ، ويأمر منادياً بذلك ، لا أن المنادي يقول : «من يدعوني فأستجيب له» ، ومن روي عن النبي ﷺ أن المنادي يقول ذلك ، فقد علمنا أنه يكذب على رسول الله ﷺ ، فإنه مع أنه خلاف اللفظ المستفيض المتواتر ، الذي نقلته الأمة خلفاً عن سلف فاسد في المعقول ، فعلم أنه من كذب بعض المبتدعة ، كما روى بعضهم يُنزل – بالضم – وكما قرأ بعضهم: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ ونحو ذلك من تحريف اللفظ والمعنى).

قلت : و «يُنزل» بالضم لم ترد في كتب السنة أجمعها الموردة لهذا الحديث على حد اطلاعي.

(١) الرد على الجهمية ص ٢٩١ ضمن عقائد السلف.

أخبار ثابتة السند صحيحة القوام ، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب – جل وعلا- إلى السماء الدنيا ، كل ليلة تشهد شهادة مقر بلسانه ، مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا ، وأعلمنا أنه ينزل ، والله -عز وجل- لم يترك ، ولا نبيه -ﷺ- بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه ، من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية ، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول »(١).

ويقول الإمام ابن عبدالبر : « والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون : ينزل كما قال رسول الله ﷺ ، ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفيون ، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء والحجة في ذلك واحدة »(٢).

قال ابن عبدالهادي(٣) : « واعلم أن السلف الصالح ومن سلك سبيلهم من

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٨٩- ٢٩٠.

(٢) التمهيد ٧/ ١٤٣.

(٣) هو : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبدالهادي المقدسي الجماعيلي الصالحي الحنبلي المقرئ الفقيه المحدث الحافظ الناقد النحوي المتفنن ، ولد سنة ٧٠٤هـ ، وعني بالحديث وعلومه ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في ذلك ، وتفقه في المذهب وأفتى ، ولازم الشيخ

الخلف متفقون على إثبات نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا »[1].

وعلم بذلك تواتر السنة على إثبات هذه الصفة وإجماع أهل السنة على ذلك ، وتأويل أهل التأويل لهذه الصفة مخالفةٌ لصريح السنة وإجماع سلف الأمة ، وقد سلك أهل التأويل في تأويل هذه الصفة عن ظاهرها وحقيقتها اللائقة بالله سبلاً شتى[2] من أشهرها ما ذكره ابن الأثير بأن المراد من نزول

تقي الدين ابن تيمية مدة ، وتوفي سنة ٧٤٤هـ. قال ابن كثير : فلم يبلغ الأربعين ، وحصل له من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار. انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٧، ٢٢٨ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤٣٦.

(١) الصارم المنكي ص ٢٢٩ ، ولمزيد من أقوال السلف ينظر الشريعة للآجري ص ٢٧٢ ، شرح حديث النزول لابن تيمية ص١٩٤، الاستذكار ٨/ ١٥١ وما بعدها ، المختار في أصول السنة ص ١٣٨ ، قصيدة عبدالله بن أبي داود ص ٣٣ ، اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي ص ٣٨ ، والعلو لابن قدامة ص١٧٠- ١٨٥ ، وأصول السنة لابن أبي زمنين ص ١١٠ ، والاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي ص ١٠٠ وما بعدها ، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٢٠ ، والإبانة للأشعري ص ١٢٢ ، والطحاوية ١/ ٢٦٩ ، وشرح الفقه الأكبر للقارئ ٣٨ ، واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤١.

(٢) انظر تلك التأويلات في مشكل الحديث ص ٨٩- ١٠٠ و ص ١٩١- ١٩٢ ، وص ٢٢- ٢٢٤ ، والمشارق ٢/ ٩ ، والباز الأشهب ص ٩٦ ، والفتح ٣/ ٣٠ ، والمحلى ١/ ٣٠- ٣٢ ، والفصل ٢/ ١٧٢ ، وغاية المرام ص ١٤٢ ، والاقتصاد

الله سبحانه نزول رحمته ، وهذا باطلٌ من وجوه أهمها ما يلي :

الوجه الأول : أن الرحمة إما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها -كالملائكة- وإما أن يراد بها صفات وأعراض.

فإن أريد الأول : فالملائكة تنزل إلى الأرض في كل وقت ، وهـذا خص النـزول بجوف الليـل ، وجعـل منتهـاه سـماء الـدنيا ، والملائكـة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان.

وإن أريد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة ونحو ذلك -وهذا ما أشار إليه ابن الأثير – رحمه الله – فيقال هذا حاصل في الأرض ، ليس منتهاه إلى السماء الدنيا.

الوجه الثاني : أن الحـديث دل عـلى أن الـذي ينـزل يقـول : (مـن يـدعني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فـأغفر لـه) ، ولا يمكـن أن يقول ذلك أحد سوى الله تعالى.

الوجه الثالث : إن نزول رحمة الله لا تختص بهـذا الجـزء مـن الليـل ؛ بـل

للغزالي ٣٩ ، والإرشاد ص١٥٠ – ١٥١ ، وشرحه لابن ميمون ص٣٦٠- ٣٦٢ ، والمواقـف ص ٢٧٢- ٢٧٣ ، وشرح المواقـف ٨/ ٤٠ ، وأسـاس التقـديس ص٨٧.

رحمته تنزل كل وقت ، فإن قيل : المراد نزول رحمة خاصة ، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت ، فالجواب : أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل ، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا ، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا يخبرنا النبي ﷺ عنها؟

الوجه الرابع : إن هذا التأويل خلاف ظاهر الحديث ، لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلى الله والأصل أن الشيء إنما يضاف إلى من وقع منه أو قام به ، فإذا صرف إلى غيره كان تحريفاً يخالف الأصل ، لاسيما وقد ورد في أحد ألفاظ أحاديث النزول لفظاً صريحاً لا يحتمل التأويل والتحريف وهو قوله : ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : (**لا أسأل عن عبادي غيري**)[1] فلا يصح مع هذا اللفظ تأويل النزول بأي معنى آخر غير نزول الله سبحانه وتعالى.

الوجه الخامس : أن هذا التأويل مخالف لما أجمع عليه سلف هذه الأمة

(١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٨٥ ضمن عقائد السلف ، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٦ ، وابن خزيمة في التوحيد ١/ ٣١٣- ٣١٤ ، واللالكائي في شرح السنة ٣/ ٤٩٤ رقم (٧٦٢) ، والدارقطني في النزول ١٤٥ ، والصابوني في عقيدة السلف ص٢١٥، وصححه شيخ الإسلام في حديث النزول ص٢٣٣، وقال عنه ابن القيم : (هذا حديث صحيح) ، مختصر الصواعق ص٣٩٠ ، ورواه ابن ماجه بنحوه ١/ ٤٣٥ رقم (١٣٦٧) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١١٢٥)، وفي صحيح الجامع رقم (١٩١٣).

فلم يعلم عنهم إلا القول بإثبات هـذه الصفة لله عـلى الحقيقـة كـما يليق بـه سبحانه.

حدث حماد بن سلمة بحديث نـزول الـرب – عز وجـل – فقـال : « مـن رأيتموه ينكر هذا فاتهموه »(١).

وقال زهير بن عباد(٢) : «كل مـن أدركـت مـن المشايخ : مالـك بـن أنـس ، وسفيان ، وفضيل بن عياض ، وعبدالله بـن المبـارك ، ووكيـع بـن الجـراح ، يقولون : النزول حق »(٣).

---

(١) أخرجه الذهبي في العلو ص١٤١ ، وفي المختصر ص ١٤٤ رقم (١٣٩) ، وكذلك في الأربعين في صفات رب العالمين ص ٧٠ رقم (٥٥).

(٢) هو : زهير بن عباد بن مليح بن زهير الرواسي الكوفي ابن عم وكيع بن الجراح. أصله كوفي وحدث بمصر ودمشق عن مالك ، وسفيان وقد قال الدارقطني : مجهول. وتعقبه الذهبي وقال : وثقه آخرون. مات سنة ٢٣٨هـ. انظر : ميزان الاعتدال ٢/ ٨٣ ، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٣.

(٣) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ١١٣ ، وهذا الرواية يرد بها على ما نسب إلى الإمام مالك بن أنس من تأويله النزول بنزول أمره ، نقل ذلك عنه ابن عبدالبر في التمهيد ٧/ ١٤٣ ، والذهبي في السير ٨/ ١٠٥ ، والمشارق ٢/ ٩ ، وحاصل القول في هذه الرواية عنه أنها جاءت من طريقين :
أ- الطريق الأول من رواية حبيب بن أبي حبيب وقد ترددت عبارات العلماء فيه بين كذاب ومتروك الحديث ، ومتروك ، وأحاديثه كلها موضوعة ، وأكذب

الناس. انظر في ذلك الجرح والتعديل ٣/ ١٠ ، والمجروحين ١/ ٢٦٥ ، والميزان ١/ ٤٥٢ ، والتهذيب ٥/ ٣٦٦ ، وتهذيبه ١/ ٤٣٢ ، وتقريبه ترجمة (١٠٨٧).

ب- الطريق الثاني من رواية محمد بن علي الجبُلي ، عن الجامع بن سوادة ، فأما محمد بن علي فقد قيل فيه أنه رافضي شديد الرفض ، انظر : الميزان ٣/ ٦٥٧ ، ولسانه ٥/ ٣٠٣ ، وأما الجامع بن سوادة ، فهو ضعيف ، انظر المصدرين السابقين ١/ ٣٨٧ ، ٢/ ٩٣ ، وما ذكر عن سنديَّ هذه الرواية كاف في ردها وعدم النظر إليها ، وهي مع ظهور كذبها سنداً ، فهي كذلك مكذوبة متناً ، ظاهر بطلانها لمخالفتها ما روي عن الإمام مالك في هذه الصفة فيما سبق وغيره ، انظر في إبطال هذه الرواية ونقل إثباته عنه شرح حديث النزول ص٢١٠ ، ومختصر الصواعق ص ٤٠٧ ، ومثل ما روي عن الإمام مالك روي عن الإمام أحمد في الإتيان والنزول ، قال : قدرته وأمره. وهذه الرواية ينظر فيها القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات ص١٣٢ ، ونقلها عن القاضي ابن الجوزي في الباز الأشهب ص ٦١ ، وكذلك الكوثري في تعليقاته على الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٤٨ ط دار إحياء التراب العربي ببيروت ، وجاءت هذه الرواية من طريق حنبل عن أبيه ، وخلاصة الجواب عليها من وجوه :

الأول : إن حنبل انفرد بهذه الرواية فيحكم عليها بالشذوذ.

الثاني : إن هذا مخالف للمشهور المتواتر عن الإمام أحمد في باب الصفات عموماً وفي هذا المبحث في الخصوص ، كما سبق ذكر شيء من ذلك ، قال شيخ الإسلام : «لا ريب أن المنقول المتواتر عن أحمد يناقض هذه الرواية ، ويبين أنه لا يقول إن الرب يجيء ويأتي وينزل أمره ، بل هو ينكر على من يقول ذلك ».

وقد سئل الإمام أحمد – رحمه الله – : «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا» أليس تقول بهذا الحديث؟ قال أحمد : صحيح[1].

وجاء في السنة للإمام أحمد : «وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾»[2]، إلى غير ذلك من الآثار الدالة على إثبات السلف لهذه الصفة كما يليق بربنا – سبحانه وتعالى – وبهذه الوجوه تبين بطلان مذهب أهل التأويل[3] المبني على أصلهم الفاسد في نفي الأفعال الاختيارية لله سبحانه ويعبرون عنه بنفي حلول الحوادث، ومن المعلوم أن مذهب السلف الصالح في ذلك أن الله يفعل ما يشاء كيف

شرح حديث النزول ص ٢٠٩، وانظر : التبصرة في أصول الدين ص٢٤٨.

الثالث : إن الإمام أحمد إنما قال ذلك إلزاماً لخصومه، لا أنه يعتقد ذلك، والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به، انظر : مختصر الصواعق ص ٤٠٦، والاستقامة ١/ ٧٥.

(١) إبطال التأويلات ص ٢٦٠.

(٢) انظر : طبقات الحنابلة ١/ ٢٩.

(٣) انظر في وجوه الرد شرح حديث النزول ص ٢٣٣ وما بعدها، ومختصر الصواعق ص ٣٧٨ وما بعدها، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ص ٧٩ ضمن رسائل في العقيدة.

يشاء، وهو من الصفات المتعلقة باختياره سبحانه[1].

وأما ما ذكره ابن الأثير وجمهور أهل الكلام، أن إثبات النزول تلزم عليه

---

(١) ينظر حديث النزول ص ١٨١٠، ٢٠٩، وقد روي عن بعض السلف إثبات هذه الصفة لله تعالى وجعلها من صفات الفعل لله تعالى، من ذلك ما ورد عن إسحاق ابن راهويه عندما قال له بعض المتكلمين: كفرت برب يتنزل من سماء إلى سماء فقال: (آمنت برب يفعل ما يشاء) ذكره الذهبي في العلو ص ١٧٨، وفي المختصر ص ١٩١-١٩٢ رقم (٢٣٤).
وقال الذهبي عن إسناده: «فكأن إسحاق الإمام يخاطبك بها» يريد كأنك تسمعها من الإمام مباشرة، وذلك لقوة هذا الإسناد وكونه في غاية الصحة. انظر: مختصر العلو ص ١٩٢، وجاء مثل هذا القول عن جملة من أهل السنة منهم:
١- الفضيل بن عياض ذكره البخاري في خلق أفعال العباد ص ١٤، واللالكائي رقم (٧٧٥).
٢- يحيى بن معين، أخرجه اللالكائي رقم (٧٧٦).
٣- الأوزاعي أورده أبو يعلى في إبطال التأويلات ص ٥٧، وانظر رسالة الآثار الواردة عن أئمة السلف في السير ١/ ٢٧٦.
ويناسب هنا ذكر ما افتري على شيخ الإسلام في حديث النزول وأنه قال: (كنزولي هذا)، ونزل درجة من درج المنبر، وكلام شيخ الإسلام في نفي مشابه الله للخلق مستفيض لا يحصر وهو كاف في رد هذا الافتراء، ولمزيد بيان انظر: مقدمة الشيخ الخميّس لشرح حديث النزول ص ٣٤-٣٨، وابن تيمية السلفي لهراس ص ١٤٦.

محـاذير أهمهـا الجـسمية ، والحركـة ، والـسكون ، ونحـو ذلـك فيقـال : إن منهج أهل السنة في مثل هذه الألفاظ -التي لم ترد في الشرع نفياً ولا إثباتاً- التوقف في لفظها ، والاستفصال في معناها ، فإن أريد به حقاً قبل ، وإن أريد به باطلاً رد.

وأما ما ورد عن بعض السلف من إطلاق مثل هذه الألفاظ ، فهو في معرض بيان هذه الصفة وإثبات ما يعتقد المؤولة نفيه ، والرد عليهم.

وإن كان الأفضل في مثل هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص الشرعية[1].

وبهذا يتبين مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو إثبات النزول لله تعالى بما صح به الخبر نزولاً يليق بجلال الله وعظمته.

---

(١) انظر في هذا المبحث مجموع الفتاوى ١٦/ ٤٢٣ ، ١٧/ ٣١٧ ، وليعلم أن لفظ الحركة مختلف في إطلاقه على ثلاثة أقوال بين السلف مع اتفاق الجميع على إثبات المعنى الذي دلت عليه تلك النصوص ، والأرجح التزام الألفاظ الشرعية ، انظر في ذلك شرح حديث النزول ص ٢١٠ وما بعدها ، والفتاوى ٦/ ١١ ، ٨/ ٢١- ٢٩ ، والدرء ٤/ ٢٥ ، والاستقامة ١/ ٧٠- ٧٣ ، وكذلك موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ١٢٢٠- ١٢٢١ ، وموقف المتكلمين من الاستدلال بالنصوص ٢/ ٥٤٨- ٥٤٩ ، والبيهقي وموقفه من الإلهيات ص ٢٩٤.

التأويل في غريب الحديث

من خلال كتاب النهاية لابن الأثير

تأليف

الدكتور علي بن عمر بن محمد السحيباني

مكتبة الرشد

ناشرون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

مكتبة الرشد - ناشرون
المملكة العربية السعودية - الرياض
الإدارة : مركز البستان - طريق الملك فهد هاتف ٤٦٠٢٥٩٠
ص.ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس ٤٦٠٢٤٩٧

E-mail:rushd@rushd.com
Website:www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

- الرياض: المركز الرئيسي: الدائري الغربي، بين مخرجي ٢٧ و ٢٨ هاتف ٤٣٢٩٣٣٢ فاكس ٤٣٢٩٣٧٥
- الرياض: فرع الشمال، طريق عثمان بن عفان، هاتف: ٢٢٥٣٠٥٢
- الرياض : فرع الدائري الشرقي هاتف ٤٩٧١١٩٩ فاكس ٤٩٦١٥٩٩
- فرع مكة المكرمة: شارع الطائف هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
- فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ فاكس ٨٣٨٣٤٢٧
- فرع جدة : مقابل ميدان الطائرة هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ فاكس ٦٧٧٦٣٥٤
- فرع القصيم : بريدة - طريق المدينة هاتف ٣٢٤٢٢١٤ فاكس ٣٢٤١٣٥٨
- فرع أبها: شارع الملك فيصل : هاتف ٢٣١٧٣٠٧ فاكس ٢٢٤٢٤٠٢
- فرع الدمام : شارع الخزان هاتف :٨١٥٠٥٦٦ فاكس ٨٤١٨٤٧٣
- فرع حائل هاتف ٥٣٢٢٢٤٦ فاكس ٥٦٦٢٢٤٦
- فرع الإحساء: هاتف ٥٨١٣٠٢٨ فاكس ٥٨١٣١١٥
- فرع تبوك هاتف ٤٢٤١٦٤٠ فاكس ٤٢٣٨٩٢٧

مكاتبنا بالخارج

- القاهرة : مدينة نصر : هاتف :٢٧٤٤٦٠٥ - موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
- بيروت بئر حسن هاتف ٠٥/٤٦٢٨٩٥ موبايل ٠٣٥٥٤٣٥٣ - فاكس ٠٥/٤٦٢٨٩٥

ب- ومن السنة :

١ - حـديث أنـس ﷺ في الـشفاعة : «... فيـأتون آدم فيقولـون أنـت أبـو الخلق ، خلقك بيده ، ونفخ فيك من روحه...»(١).

والجمع بين ما أتى في ذكر صفة «اليد» بصيغة الإفراد أو التثنية أو الجمع ينظر فيه بيان تلبيس الجهمية تحقيق الدكتور الغفيص ٢/ ٥٥٦- ٥٥٨ ، والتفسير القيم لابـن القيم ص ٤٢١ ، ومختـصر الـصواعق ص ٢٩ ، وكـذلك فـتح رب البريـة بتلخيص الحموية ص ٨٥ ، وشرح العقيدة الواسـطية ١/ ٢٩٩ ، وكـلا الكتـابين للشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – .

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب التفسير باب : قـول الله تعـالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ٣/ ١٣٥٠ رقـم (٤٤٧٦) ، وكتـاب الرقـائق بـاب : صـفة الجنـة ٤/ ٢٠٥٣ رقم (٦٥٦٥) ، وفي التوحيد في ثلاثة مواضع ، باب : قول الله تعـالى : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ٥/ ٢٣١٢ رقـم (٧٤١٠) ، وبـاب : قولـه تعـالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ٥/ ٢٣٢٣ رقـم (٧٤٤٠) ، وبـاب قولـه : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٥/ ٢٣٤٤ رقم (٧٥١٦) ، وكتـاب أحاديث الأنبياء بـاب : قـول الله عـز وجـل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ٢/ ١٠٢٦رقـم (٣٤٤٠) ، وأخرجـه مسلم في باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٠ رقم (١٩٣) واللفظ لـه ورقـم (١٩٤) ، وأخرجه الإمـام أحمـد ٣/ ١١٦ ، ٢٤٤ ، ٢/ ٤٣٥ ، والترمـذي أخرجـه في كتاب صفة القيامة باب : ما جاء في الشفاعة ٤/ ٦٢٢٠ رقـم (٢٤٣٤) ، وابـن ماجه في الزهد باب : ذكر الشفاعة ٢/ ١٤٤٢ رقم (٤٣١٢) ، وأخرجه الطيالسي

٢- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك...**»(١).

٣- قول ﷺ: «**يد الله**، - وفي رواية -: **يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**»(٢).

٤- وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **في تحاج آدم**

رقم (٢٠١٠)، وأبو يعلى ٣/ ٢٢٠ رقم (٢٨٩٢) و٣/ ٢٦٨ رقم (٣٠٥٢)، وهذا الحديث معروف بحديث الشفاعة وهو من الأحاديث المتواترة.

(١) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب: كلام الرب مع أهل الجنة ٥/ ٢٣٤٦ رقم (٧٥١٨)، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً ٤/ ٢١٧٦ رقم (٢٨٢٩).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد في موضعين باب: قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ٥/ ٢٣١٣ رقم (٧٤١١)، وباب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ٥/ ٢٣١٥ رقم (٧٤١٩) كلاهما عن أبي هريرة ﷺ وجاء في الأول لفظ «اليد» والثاني «اليمين»، وكذلك أخرجه في التفسير باب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ٣/ ١٤٤٠ رقم (٤٦٨٤)، وأخرجه الإمام مسلم كتاب الزكاة باب: الحث على النفقة ٢/ ٦٩١ رقم (٩٩٣) بلفظ (يمين الله)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ١/ ٧١ باب: ما أنكرت الجهمية رقم (١٩٧) بلفظ (اليمين)، والإمام أحمد ٢/ ٢٤٢، ٣١٣.

وموسى عليهما السلام قال موسى : «أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»(١).

٥- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر ، نزلاً لأهل الجنة»(٢).

٦- وحديث عندما ذكر النبي ﷺ أعلى أهل الجنة منزلة قال الله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب القدر باب : تحاج آدم وموسى عند الله ٥/ ٢٠٦٨ رقم (٦٦١٤) ، وكتاب أحاديث الأنبياء باب : وفاة موسى ٢/ ١٠٥٨ رقم (٣٤٠٩) ، وكذلك أخرجه البخاري في التفسير باب : تفسير سورة طه وفي التوحيد باب : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ ، وليس في هذين الموضعين شاهد لما سيق الحديث لأجله وهي إثبات صفة (اليد) ، والحديث أخرجه مسلم في القدر باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/ ٢٠٤٢ رقم (٢٦٥٢) ، وأبو داود في السنة باب : في القدر ٤/ ٢٢٥ رقم (٤٧٠١) ، والترمذي في القدر باب : ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام ٤/ ٤٤٤ ، وابن ماجه في المقدمة باب : القدر ١/ ٣١ ، والإمام أحمد ٢/ ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٤٤٨ ، ٤٦٤.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الرقاق باب : يقبض الله الأرض ٤/ ٢٠٢٣ رقم (٦٥٢٠) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب : نزل أهل الجنة ٤/ ٢١٥١ رقم (٢٧٩٢).

«أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها...»[١].

٧- وحديث: «إن الله لما خلق الخلق كتب بيده أن رحمتي تغلب غضبي»[٢].

وهذه الأحاديث تخص بالذكر صفة اليد لله تعالى وهناك أحاديث أثبتت الصفة مع إثبات البسط لها منها:

٨- حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[٣].

٩- وحديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله إلى السماء

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٧٦ رقم (١٨٩) عن المغيرة بن شعبة يرفعه، وكذلك أخرجه الترمذي في التفسير باب: ومن سورة السجدة ٥/ ٣٤٧ رقم (٣١٩٨) ولم يذكر أعلاهم منزلة، فلم يأتِ على الشاهد من الحديث، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٧٨ رقم (٦٥).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع هذه أرقامها (٣١٩٤)، (٧٤٠٤)، (٧٤٢٢)، (٧٤٥٣)، (٧٥٥٣)، (٧٥٥٤)، ومسلم كتاب التوبة باب: سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١٠٧، وكلاهما بلفظ (كتب كتاباً)، والترمذي رقم (٤٢٩٥)، والبغوي في شرح السنة (٤١٧٨)، وجميعهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في التوبة باب: قبول التوبة من الذنوب ٤/ ٢١١٣ رقم (٢٧٥٩)، وأخرجه الإمام أحمد ٤/ ٣٩٥، ٤٠٤.

الدنيا لشطر الليل ، أو ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له؟ أو من يسألني فأعطيه؟ ثم يبسط يديه – تبارك وتعالى – يقول من يقرض غير عدوم ولا ظلوم»(١).

(١) الحديث أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب : الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ١/ ٥٢٢ رقم (٧٥٨) وهي عند مسلم فقط من أصحاب الكتب الستة بلفظ «يبسط يديه» ، وجاء لفظ «يبسط يده» عند أحمد ١/ ٣٨٨ ، ٤٠٣ ، ٤٤٦ ، وابن خزيمة ١/ ٣٢٠ ، والآجري في الشريعة ص ٢٧٦ بإسناد صحيح ، وهذا الحديث يعرف بحديث النزول ، وقد روي عن جماعة من الصحابة جمع طرقه وبينها الألباني في إرواء الغليل ٢/ ١٩٥ رقم (٤٥٠).

وما ذكرته في هذه الصفة هو في الصحيحين أو أحدهما واقتصرت عليها لكثرة النصوص الواردة في إثبات هذه الصفة ، فمن أراد الاستزادة فليراجع :

١ – التوحيد لابن خزيمة ١/ ١١٩ فقد سرد جملة من الأحاديث في ثلاث عشرة سنة كلها تثبت اليد لله تعالى.

٢ – السنة لابن أبي عاصم ص ٢٧٣ وما بعدها و ٢٤٠ وما بعدها.

٣– التوحيد لابن منده ٣/ ٨٨.

٤– شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٤٥٨.

٥– الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ١١٨.

٦ – الحجة في بيان المحجة للإمام الأصبهاني ١/ ١٨٥ ، وجملة من ذكرته وما سأذكره من أحاديث في صفة اليد ، والكف ، واليمين ، والحثو... مُـخرَّج فيها ؛ فأهملت العزو إليها في تخريج الأحاديث للإحالة المجملة هنا.

وهذه جملة من الأحاديث التي تثبت صفة اليد لله -جل وعلا- على الحقيقة ووصفها بالبسط، وظاهر هذه النصوص هو ما فهمه السلف الصالح وقالوا به، وإليك جملة من كلامهم في إثبات هذه الصفة :

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : « من زعم أن يداه نعمتاه كيف بقوله : ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ »[1].

وقال الإمام ابن خزيمة عندما ذكر بعض الآيات وأتى على السنن الثابتة عن النبي ﷺ في إثبات اليد لله تعالى قال : « باب ذكر البيان من سنة النبي ﷺ على إثبات يد الله - جل وعلا - موافقاً لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفاً، قد نزه الله نبيه، وأعلى درجته، ورفع قدره عن أن يقول إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه »[2].

وقريباً من ذلك ما ذكره الإمام الأصبهاني في كتاب الحجة[3].

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للدكتور عبدالإله بن سليمان الأحمد ١/ ٣٠٧.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/ ١١٩.

(٣) الحجة في بيان المحجة للإمام الأصبهاني ١/ ١٨٥.

والإمام الأصبهاني هو : أبو القاسم بن محمد بن الفضل القرشي التيمي الأصبهاني، الملقب بقوّام السنة من أعلام الحفاظ كان إماماً في التفسير والحديث واللغة. من كتبه : الجامع، والاتضاح في التفسير، والترغيب

وقال الإمام الصابوني[1] : « إن من جملة اعتقاد أهل السنة إثبات أن لله يدين كما ورد في القرآن ووردت به الأخبار الصحاح »[2].

ومثله ما ذكره الأشعري في إثبات هذه الصفة لله تعالى قال : « وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله، وما راه الثقات عن رسول الله لا نرد من ذلك شيئاً... إلى أن قال : وأن لله يدين بلا كيف»[3].

وقال الإمام ابن منده : « ومن صفاته التي وصف بها نفسه وامتدح بها : يداه، ومدح آدم عليه السلام إذ خصه بخلقه بها دون عباده »[4]، ثم سرد بعد

والترهيب، والحجة في بيان المحجة وغيرها. توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر : شذرات الذهب ٤/ ١٠٥، الأعلام ١/ ٣٢٣.

(١) هو : أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني، ولد سنة ٣٧٣هـ، وهو ممن شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير، وكان صادق اللهجة واسع العلم، لقب بـ«شيخ الإسلام» له : كتاب عقيدة السلف، وكتاب الفصول في الأصول. توفي سنة ٤٤٩هـ. سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠، طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٢٧١.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ص ١٦٤.

(٣) الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري ص ٢٥ و٢٦، وانظر في الإبانة كذلك ص ١٣١ المسألة السابعة والخمسون فقد ذكر إثبات الصفة وأدلة ذلك من الكتاب والسنة، وانظر مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤٥، ورسالة إلى أهل الثغر ٢٢٥- ٢٢٦.

(٤) التوحيد لابن منده ٣/ ٨٨.

ذلك جملة من الأخبار في إثبات هذه الصفة لله تعالى.

ونصر القول بأن لله يداً على الحقيقة تليق بجلال الله وعظمته الإمام ابن جرير الطبري بعد ذكره أقوال أهل الجدل والمخالفين لأهل السنة(١).

وقال الإمام أبو القاسم اللالكائي : « سياق ما دل من كتاب الله – عز وجل – وسنة رسوله ﷺ على أن من صفات الله – عز وجل – الوجه ، والعينين ، واليدين » ، ثم ذكر بعد ذلك جملة من الآيات والأحاديث(٢).

وذكر الإسماعيليُّ أن من جملة اعتقاد أهل الحديث –أهل السنة والجماعة– أن الله خلق آدم بيده ، ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، بلا اعتقاد كيف يداه ، إذ لم ينطق كتاب الله تعالى فيه بكيف(٣).

وقال الحافظ عبدالغني المقدسي : « ومن صفاته سبحانه الورادة في كتابه العزيز الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين : اليدان... ولا نكيف ولا نشبه ، ولا نتأول اليدين على القدرة كما يقول أهل التعطيل والتأويل ، بل نؤمن بذلك ونثبت له الصفة من غير تحديد ولا تشبيه »(٤).

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/ ٣٠١ ، ٣٠٢، وانظر : البغوي في تفسيره ٢/ ٢٩٥ ، والخازن في تفسيره ٢/ ٢٩٥.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي ٣/ ٤٥٧.

(٣) انظر : اعتقاد أهل السنة للإمام أبي بكر الإسماعيلي ص ٣٢ ، ٣٣.

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٢. وعبدالغني المقدسي هو : أبو محمد عبدالغني

ويقـول الإمـام السفاريني[1] : « اعلـم أن مـذهب السلف الـصالح... أن المـراد باليـدين إثبات صـفتين ذاتيتين تـسميان يـدين ، تزيـدان عـلى النعمـة والقدرة »[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن لله يدين مختصتان به ذاتيتان له كما يليق بجلاله »[3].

ويقول شيخ الإسلام أيضاً في إثبات صفة بسط اليدين لله : « ووصـف نفسه ببسط اليدين ، فقال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، ووصف بعض خلقه ببسط

عبدالواحـد بـن عـلي بـن سرور المقـدسي الجماعـيلي ، ثـم الدمـشقي المنشأ الصالحي الحنبلي الإمام العالم القدوة العابد المتبع تقي الدين. ولد سنة ٥٤١هـ وله فضائل وشمائل يطول ذكرها لـه مـصنفات كثيرة منهـا : المـصباح في عيـون الأحاديث الصحاح ، ، نهاية المراد ، الأحكام الكبرى ، والـصغرى والكـمال في معرفـة رجـال الكتـب والـسنة وغيرهـا. تـوفي سـنة ٦٠٠هـ. انظـر : أعـلام النبلاء ٢١/ ٤٤٣ ، ٤٧١ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٥- ٣٤.

(١) هو : الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني شمس الدين ، عـالم بالحديث والأصـول والأدب ، صـاحب سـنة واتبـاع بعيـد عـن البـدع ، محـارب لأهلهـا ، ولـد في سـفارين مـن قـرى نـابلس عـام ١١١٤هــ ، وتعلـم في دمـشق ، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ. الأعلام ٦/ ١٤ ، معجم المؤلفين ٩/ ٢٦٢.

(٢) لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٣١.

(٣) الفتاوى ٦/ ٣٦٣.

اليد في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[١]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط... »[٢] إلى غير ذلك من أقوال أهل السنة الذين يثبتون هذه الصفة لله تعالى على الحقيقة من غير تمثيل أو تأويل...؛ بل إن هناك زمرة من أوائل الأشاعرة ممن يثبتون هذه الصفة لله تعالى منهم: ابن فورك[٣]، والباقلاني[٤] حيث قال: « باب في أن لله وجهاً ويدين... » ثم جادل من خالف ذلك[٥]، وغير هذين من أئمة الأشاعرة.

---

(١) سورة الإسراء آية: ٢٩.

(٢) الرسالة التدمرية ص ٢٩، ٣٠.

(٣) مشكل الحديث ص ٢٥٤. وابن فورك هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني صاحب التصانيف في الأصول والعلم، روى مسند الطيالسي، وكان ذا زهد وعبادة، وتوسع في الأدب، والكلام، والوعظ، والنحو، شافعي المذهب، له بدع وطوام، يقال مات ويقال قتله محمود بن سُبُكْتكين سنة ٤٠٦هـ. العبر ٢/ ٢١٣، شذرات الذهب ٣/ ١٨١.

(٤) هو: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، البصري ثم البغدادي، صاحب التصانيف، وكان مضرب المثل بفهمه وذكائه، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان يلقب بشيخ السنة ولسان الأمة، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري. توفي سنة ٤٠٣هـ، ومن كتبه: إعجاز القرآن، وتمهيد الدلائل. سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠، الديباج المذهب ٢/ ٢٢٨، الأعلام ٦/ ١٧٦.

(٥) تمهيد الأوائل ص ٢٩٥.

فهذا كتاب الله ينطق بيننا بالحق ، وهذه سنة نبيه ، وكلام سلف الأمة ، وكلام أوائل القوم... كلها تثبت لله صفة اليد على الحقيقة ، فهل بعد هذا البيان من بيان : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1].

ولقد أوّل ابن الأثير صفة اليد لله تعالى بأنها كناية عن الجود[2] ، وذلك في قوله تعالى : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[3].

وسبق ابن الأثير في تأويل هذه الآية جملة من أهل التعطيل[4].

وتأويل صفة اليد فيما سبق من الأحاديث أنها على سبيل المجاز والاستعارة ، وتأويل الآيات والأحاديث بخلاف ظاهرها باطل من وجوه :

أولاً : أن تأويل اليد بأنه كناية عن الجود ، وإن كان مستساغاً في اللغة ، فإن اللغة تحمل اليد معانٍ كثيرة ، وذلك حسب السياق ، وقرائن الأحوال ، وتصريف الكلام ، وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن لليد خمسة وعشرين معنى

---

(١) سورة الحج آية رقم : ٤٦.

(٢) مثل هذا التأويل نقله شيخ الإسلام عن المتأولة لهذه الصفة ، الرسالة المدنية ص٤٥ ، ٥٤.

(٣) سورة المائدة آية رقم : ٦٤.

(٤) ينظر العدل والتوحيد ص ٢٦٢ ضمن رسائل العدل والتوحيد للقاسم الرسي ، ومتشابه القرآن ص ٢٣٠ وما بعدها ، وشرح الأصول الخمسة ص ٢٢٨ للقاضي عبدالجبار ، وأساس التقديس ص ٩٩ للرازي.

في استعمال اللغة العربية[1]، ولكن ظواهر النصوص من قرآن وسنة في صفة اليد تمنع أن يراد بها غير اليد الحقيقة، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، إلا بدليل يوجب صرف اللفظ عن ذلك الظاهر وتلك الحقيقة، وليس هناك ثمة دليل.

ثانياً: هب أن بعض النصوص قد يسيغ للمؤول تأويل اليد بالنعمة أو القوة... ؛ فإن ذلك التأويل لا يمكن ولا يستساغ بل يمتنع في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وذلك لأمور أهمها:

أ- إن اليد في الآية الأولى أتت بصيغة التثنية، وعلى تأويلهم تكون النعمة نعمتين وهذا لا يصح، فإن نعم الله لا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[2]، وكذلك القوة قوتان، والقوة لله بمعنى واحد لا يتعدد، وهذا من المجمع عليه.

ب- وكذلك تبطل خاصية أبينا آدم عليه السلام - بأن الله خلقه بيده - الثابت بهذه الآية وبقوله في حديث أنس (... وخلقك الله بيده) لأن الخلق جميعاً خلقوا بقدرة الله وليس لهم غنى عن نعمته[3].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٩٤.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم: ٣٤.

(٣) انظر الرسالة المدنية ص ٥٠، وتفسير ابن جرير الطبري ٦/ ٣٠١، والإبانة للأشعري ص ١٣١، وتمهيد الأوائل ص ٢٩٧.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعـل ، وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ؛ فإنه نص صريح في أنه فعل الفعل بيده... ولَسْت تجد في كلام العرب ولا العجم -إن شاء الله تعالى- أن فصيحاً يقول : فعلت هـذا بيدي ، أو فلان فعل هـذا بيده ، إلا ويكون فعله بيده حقيقة ، ولا يجوز أن يكون لا يد له ، أو أن يكون لـه يدٌ والفعل بغيرها »(١).

وهذه الآية ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ بينها فرق وبين قوله : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهذا ليس مثل هذا - يعني الآيتين - لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي فصار شبيهاً بقوله : ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٢).

وهناك أضاف الفعل إليه فقال : ﴿ما خلقتُ﴾ ثم قال : ﴿بيدي﴾.

وأيضاً فإنه هناك - يعني قوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ -ذكر نفسه المقدسة بـصيغة المفـرد وفي اليـدين ذكـر لفـظ التثنيـة ، كـما في قولـه : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، وهنا - يعني قوله : ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ - أضاف الأيدي إلى

(١) الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٢ وهي ضمن الفتاوى ٦/ ٣٦٦.

(٢) سورة الشورى آية : ٣٠.

صيغة الجمع ، فصار كقوله : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[1]، وهذا في الجمع نظير قوله : ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[2] ، و﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[3] في المفرد فالله - سبحانه وتعالى - يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد ، مظهراً أو مضمراً ، وتارة بصيغة الجمع كقوله : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ »[4].

ثالثاً : أن ما ذكره المؤولة مخالف لإجماع السلف ، قال الإمام الآجري : « يقال للجهمي - الذي ينكر أن الله عز وجل خلق آدم بيديه - كفرت بالقرآن ، ورددت السنة ، وخالفت الأمة »[5].

رابعاً : أن صفة اليد الواردة في النصوص جاءت على صفات تمنع أن يراد بها المجاز أو الاستعارة للنعمة أو القوة... وغيرها ، فجاءت موصوفة بالأصابع ، والقبض والبسط ، والكف ، واليمين ، والحثو...[6] ، وكل هذا يمنع أن يراد بها غير اليد الحقيقية الثابتة لله جل وعلا.

يقول الإمام ابن القيم : « ورد لفظ اليد في القرآن والسنة ، وكلام

---

(١) سورة القمر آية : ١٤.

(٢) سورة الملك آية : ١.

(٣) سورة آل عمران آية : ٢٦.

(٤) الرسالة التدمرية ص ٧٤ ، والآية من سورة الفتح رقم : ١.

(٥) الشريعة للآجري ص ٢٨٩ ، وتقدم بعض من أقوال السلف في ذلك.

(٦) وجميع هذه الصفات بعضها سبق أدلتها وبعضها سيأتي - بإذن الله -.

الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ، وروداً متنوعاً متصرفاً فيه ، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والحثيات... »[1].

وبها يتبين أن صفة اليدين ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، من غير تمثيل أو تحريف ، وبه جاءت النصوص من كتاب وسنة وعليه إجماع سلف الأمة وأئمة السنة[2].

ثانياً : صفة البسط[3] :

يوصف الله – جل وعلا – بالبسط ، قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾[5] ، وغيرها من الآيات ، وكذلك توصف يد الله تعالى بالبسط ، وهو مرادنا في هذا البحث لتأويل ابن الأثير يرحمه الله له. وقد تقدمت من

(١) انظر : مختصر الصواعق ص ٣٤٨.

(٢) من أراد الاستزادة فليراجع مختصر الصواعق فقد أجاب ابن القيم – رحمه الله – عن تأويل صفة اليد بعشرين وجهاً ص ٣٣٦- ٣٤٩.

(٣) هذه الصفة وإن كانت من الصفات الفعلية لله تعالى ، إنما ذكرتها هنا لتعلقها بصفة اليد لله تعالى.

(٤) سورة البقرة آية : ٢٤٥.

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٠.

الكتاب ، والسنة ، وكلام السلف إثبات البسط ليد الله جل وعلا.

ولقد أول ابن الأثير البسط في قوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ، والحديث «إن الله يبسط يده بالليل...» وقال : إنما ذلك على سبيل المجاز.

ويجاب عليه بوجوه :

الأول : يقال وجميع هذا تقولٌ على الله بغير علم ، والأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة دون المجاز ، إلا بدليل يصرفه عن تلك الحقيقة ولا دليل.

الثاني : إن المتكلم بذلك هو أفصح الناس وأعلمهم بالله ولو أراد بكلامه خلاف ظاهره لبينه للأمة ، لاسيما في أمور الاعتقاد(١) ، وإلاّ يلزمكم أيها المعطلة أن تقولوا إنه – صلوات الله وسلامه عليه– غاش لأمته ولم يبين أكمل البيان ، أو أنكم على أمة أهدى من أمته وجهل شيء وعلمتموه أنتم وهذا جميعه لا يجوز في حقه ﷺ.

الثالث : أن يبسط اليد جاء في مواضع يمنع هذا التأويل في مثل قوله : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ؛ فهذا لا يصح فيه المجاز بل لا بد من حمل الكلام على الحقيقة ، وأن تفسيره ببعض لوازمه لا يعني صرفه من الحقيقة إلى المجاز.

---

(١) الرسالة المدنية ص ٤٠.

ثالثاً : صفة الكف :

وهذه الصفة تثبت لله تعالى بالحديث الصحيح المروي عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة ، فتربو في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فَلُوَّه أو فصيله**»[1].

---

(١) الفلو : هو المهر الصغير ، وقيل : هو العظيم من أولاد ذات الحافر ، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه. انظر : لسان العرب ١٥/ ١٦٢ ، ١١/ ٥٢٢.

والحديث أخرجه البخاري في الزكاة باب : الصدقة من كسب طيب ١/ ٤٢٠ رقم (١٤١٠) ، وفي التوحيد باب : قوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ٥/ ٢٣١٨ رقم (٧٤٣٠)، ولم يذكر في الموضعين (الكف)، وذكر (اليمين) فعلى ذلك لا يكون في رواية البخاري شاهد لهذه الصفة ، والحديث أخرجه مسلم في الزكاة باب : قبول الصدقات من الكسب الطيب وتربيتها ٢/ ٧٠٢ رقم (١٠١٤) ، وهذا اللفظ له ، والترمذي في الزكاة باب : ما جاء في فضل الصدقة ٣/ ٤٩ رقم (٦٦١) ، والنسائي في الزكاة باب : الصدقة من غلول ٥/ ٧٥ ، وابن ماجه في الزكاة باب : فضل الصدقة ١/ ٥٩٠ ، والإمام أحمد ٢/ ٣٣١ ، ٣٨١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٧١ ، ٥٣٨ ، ٥٤١.

ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن سعيد بن يسار كتاب الصدقة باب : الترغيب في الصدقة ٢/ ٩٩٥ ، قال ابن عبدالبر عندما ذكر من وصل الحديث : (وهو حديث مجتمع على صحته) ، التمهيد ٢٣/ ١٧٣ ، وانظر الاستذكار ٢٧/ ٣٩٣ ،